مجلة كلية الآداب
"دوريَّةٌ – أكاديميَّةٌ – علميَّةٌ – مُحَكَّمةٌ"
العدد (٤١)، الجزء الأول، أكتوبر ٢٠١٦م ص ص ٨٣ - ١٠٦
جامعة سوهاج
كلية الآداب

ظلم الأمم والأفراد في ضوء القرآن الكريم

خالد فؤاد محمد بليل(*)

مقدمة:

الحمد لله رافع السبع الشداد، ليس في ملكه شركاء ولا أنداد، الحكم العدل في الدنيا ويوم الميعاد ،الذي يأمر بالعدل وينهي عن الظلم والجور، وأشهد أن لا اله إلا الله، جعل عز وجل القران دواء لكل داء مصلحا لكل فساد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خير من دعا إلى العدل وإليه قاد، وحذر أمته من الظلم والفساد. فصلوات الله وسلامه عليه، وعلي آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد ،،،،

لقد تحدث القرآن الكريم في آيات عديدة عن الظلم، وعاقبته الوخيمة علي المجتمع كله، فالظلم كما قال ابن خلدون "مؤذن بخراب العمران "، وفيه هلاك البشرية، لذلك حذر المولي عز وجل من الظلم في كتابه العزيز تحذير شديد، وأوضح عاقبة الظلم الوخيمة حتي يقلع الجميع عن الظلم، والظلم هو التعدي ومجاوزة الحد، والظلم قديم وترسخ في النفس البشرية، وإن كان للظلم صور وأشكال شتي.

أهمية الموضوع :

ترجع أهمية هذا الموضوع إلى جملة من النقاط:

١- التكرار الملفت للانتباه لقصص الظلم وعاقبة الظالمين في القرآن الكريم .

٢- الرغبة في البحث في كتاب الله عز وجل، والتفيؤ تحت ظلاله، والارتواء من ينبوع حكمته.

الدراسات السابقة :

١- الظلم في ضوء القرآن الكريم "حقيقته – أنواعه – أسبابه – آثاره –الوقاية منه" للطالبة نورة بن حسن جامعة الحاج لخضر باتنة بالجزائر كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الاسلامية – عام ٢٠٠٩م.

٢- انكار الظلم في ضوء الكتاب والسنة – رسالة ماجستير للطالب محمد ابراهيم احمد سيف اشراف الاستاذ الدكتور خضر عبد اللطيف قدمت هذه الرسالة بكلية الدراسات العليا بجامعة النجاح الوطنية ،نابلس ،فلسطين ،عام ٢٠٠٧م.

منهج البحث:

اعتمدت في اعداد البحث علي منهجين اساسيين هما :

١- المنهج الاستقرائي: وذلك بتتبع واستقراء الايات القرانية التي ورد فيها لفظ الظلم .

٢- المنهج التحليلي الاستنباطي: وذلك بدراسة وتحليل الآيات القرآنية التي ورد فيها لفظة الظلم، ومن ثم تقسيمها إلى طغيان الأمم.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة الموضوع أن تكون الدراسة في مقدمة ومبحثين ،وخاتمة .

المقدمة :

(*) المدرس المساعد بقسم الدراسات الإسلامية – كلية الآداب – جامعة سوهاج.

وتشتمل علي أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والمنهج الذي سلكه الباحث في معالجة مسائل البحث، والخطة التي سيسير عليها البحث.

المبحث الأول: تعريف الظلم لغة واصطلاحا .

المطلب الأول :الظلم لغة .

المطلب الثاني :الظلم اصطلاحا.

المبحث الثاني: ظلم الأمم كما يراه القرآن الكريم

المطلب الأول: ظلم قوم نوح عليه السلام .

المطلب الثاني: ظلم قوم لوط عليه السلام .

المطلب الثالث: ظلم قوم شعيب عليه السلام .

الخاتمة :

وتشتمل علي اهم النتائج التي توصل اليها الباحث .

المبحث الأول: تعريف الظلم لغة واصطلاحاً:

ويشمل المبحث الأول على المطالب التالية:

المطلب الأول: الظلم لغة .

المطلب الثاني: الظلم اصطلاحاً.

المطلب الأول: تعريف الظلم (لغة):

الظلم عند أهل اللغة وكثير من العلماء: وضع الشيء في غير موضوعه، جاء في لسان العرب أن أصل الظلم: الجور ومجاوزة الحد.(١)

والظلم: (وضع الشيء في غير موضعه المختص به إما بنقصان أو بزيادة، وإما بعدول عن وقته أو مكانه، ومن هذا: ظلمت الأرض حفرتها، ولم تكن موضعا للحفر، وتلك الأرض يقال لها (المظلومة)، والتراب الذي يخرج منها ظليم).(٢)

الظُّلم بالضم: (وضع الشيء في غير موضعه والمصدر الحقيقي: الظَّلم، بالفتح،

ظلم يظلم ظلماً، بالفتح، فهو ظالم وظلوم، وظلمه حقه وتظلمه إياه، وتظلم: أحال الظلم على نفسه، ومنه: شكا من ظلمه. واظلم كافتعل، وانظلم: احتمله، وظلمه تظليما: نسبه إليه وظَلَم الأرض: حفرها في غير موضع حفرها).(٣)

---

(١) لسان العرب – ابن منظور – مادة (ظلم) – ٣٧٣/١٢.

(٢) انظر المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني – ص٣١٨ – وتاج العروس في جواهر القاموس – الزبيدي – ٧٨٠/٣.

(٣) القاموس المحيط – الفيروز آبادى – ١٤٦٤/١.

الظُّلْمُ: (اسم من ظلَمه ظلْماً من باب ضرب ومَظْلمةٌ بفتح الميم وكسر اللام وتجعل المظلمة اسما لما تطلبه عند الظالم كالظلامة بالضم وظلَّمتُه بالتشديد نسبته إلى الظُّلْم وأصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه، وأظلم القوم دخلوا في الظلام و"تظالموا" ظلم بعضهم بعضا).[٤]

ظلم ظلما ومظلمة جار وجاوز الحد ووضع الشيء في غير موضعه وفي المثل "من أشبه أباه فما ظلم" ما وضع الشبه في غير موضعه، تظالم القوم ظلم بعضهم بعضاً وتظلم شكا الظلم ويقال تظلم منه واحتمل الظلم وفلانا وحقه ظلمه إياه).[٥]

(يقال ظلمه يظلمه ظلما وظُلما ومظلمة، فالظلم مصدر حقيقي والظلم الإسم يقوم مقام المصدر، وهو ظالم وظلوم، وتظلم منه شكا من ظُلمه وتظلم الرجل أحال الظلم على نفسه، ويقال تظلم فلان إلى الحاكم من فلان فظلمه تظليما أي انصفه من ظالمه وأعانه عليه، وظلمت فلانا: نسبته إلى الظلم، وظلمت فلانا فاظلم وانظلم، إذا احتمل الظلم).[٦]

المطلب الثاني: تعريف الظلم اصطلاحاً:

هو الميل عن القصد، والعرب تقول: ألزم هذا الصوب ولا تظلم عنه، أي لا تجرعنه، فالظلم مصدر حقيقي.[٧]

ولقد تحدث القرآن الكريم كثيراً عن الظلم والمظلومين، وتعددت معاني الظلم في القرآن الكريم بحسب السياقات، ومعظم معاني الظلم في القرآن الكريم تدور حول: منع الحق ومجاوزته، ووضع الشيء في غير موضعه، فمعظم معاني الظلم في القرآن مرادفه الاستبداد والطغيان.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾﴾. [٨]

(كانوا هم أشد ظلما لأنفسهم، وأعظم كفرا بربهم، وأشد طغيانا وتمردا على الله من الذين أهلكهم من بعد الأمم، وكان طغيانهم الذي وصفهم الله به، وأنهم كانوا بذلك أكثر طغيانا من غيرهم من الامم).[٩]

وفى البحر المحيط: (جعلهم أظلم واطغى لأنهم كانوا في غاية العتو والإيذاء لنوح (عليه السلام)، يضربونه حتى يكاد يتحرك).[١٠]

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ [١١]

فالظُّلْمُ: الميل عن القصْد، والعرب تقول: اِلْزم هذا الصوْب ولا تظلِم عنه، أي: لا تَجُرْ عنه. فالظَّلْمُ: مصدر حقيقي. والظُّلْمُ: الاسم، يقوم مقام المصْدر، وهو ظالمٌ وظلُومٌ.[١٢]

---

(٤) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير – الفيومي – ٢٨٦/٢.
(٥) المعجم الوسيط – إبراهيم مصطفي وآخرون – ٥٧٧/٢.
(٦) معجم مقاييس اللغة – ابن فارس – ٤٦٩/٣.
(٧) ثمانون حديثا في الظلم والظلمة والمظلومين – جمال عبد المنعم الكوفى – ص٨.
(٨) سورة النجم: آية ٥٢.
(٩) جامع البيان في تأويل القرآن – الطبري – ٥٥٣/٢٢.
(١٠) البحر المحيط – أبو حيان الأندلسي – ٢٧/١٠.
(١١) سورة الشورى: آية ٤٢.
(١٢) ثمانون حديثاً في الظلم والظلمة والمظلومين – جمال عبد المنعم الكومى – ص٨.

العدل: من أهم وأعظم الركائز والأسس التي يقوم عليها نظام الحكم في الدولة الإسلامية؛ لأن الله تعالى من أسمائه الحسنى وصفاته العليا "العَدْل"، وهو (ﷻ) يحب العدل ويأمر بالعدل، ويجازى عليه خيراً، فالله تعالى أنزل الكتب، وأرسل الرسل، بالعدل .. ومن أجل العدل .. ودفع الظلم كما قَالَ تَعَالَىٰ:﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨﴾ (١٣)

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾.(١٤)

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٧٦﴾.(١٥)

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٩﴾.(١٦)

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٤٢﴾.(١٧)

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوۡفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا نُّكۡرٗا ٨٧﴾.(١٨)

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٥٨﴾.(١٩)

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٧﴾.(٢٠)

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤﴾.(٢١)

---

(١٣) سورة النساء: آية ٥٨.
(١٤) سورة النحل: آية ٩٠.
(١٥) سورة النحل: آية ٧٦.
(١٦) سورة الحجرات: آية ٩.
(١٧) سورة المائدة: آية ٤٢.
(١٨) سورة الكهف: آية ٨٧.
(١٩) سورة البقرة: آية ٢٥٨.
(٢٠) سورة آل عمران: آية ٥٧.
(٢١) سورة الأعراف: آية ٤٤.

وفى الحديث القدسى: (يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا).(٢٢)

وقال (ﷺ): (أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِمَامٌ جَائِرٌ).(٢٣)

ولأن الأمم والدول لا يدوم سلطانها وملكها مع الظلم والطغيان؛ فمن أعظم أسباب زوال الدول وسلطانها وملكها الظلم .. وغياب العدل .. كما قال تعالى عن الأمم الظالمة التي استعدت الأنبياء والرسل، وتعاملت معهم بالظلم والعدوان والطغيان.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾﴾.(٢٤)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾.(٢٥)

قال ابن القيم رحمه الله:

(أمور الناس تستقيم في الدنيا مع العدل الذي فيه الاشتراك في أنواع الإثم أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق وإن لم تشترك في إثم؛ ولهذا قيل: إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة؛ ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة. ويقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر ولا تدوم مع الظلم والإسلام. وقد قال النبي (ﷺ) {ليس ذنب أسرع عقوبة من البغي وقطيعة الرحم} فالباغي يصرع في الدنيا وإن كان مغفورا له مرحوما في الآخرة وذلك أن العدل نظام كل شيء؛ فإذا أقيم أمر الدنيا بعدل قامت وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق، ومتى لم تقم بعدل لم تقم وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يجزى به في الآخرة ا-ه).(٢٦)

(فإذا جَار السُّلْطَان انْتَشَر الْجور فِي الْبِلَاد وَعم الْعباد فرقت أديانهم واضمحلت مروءاتهم وقست قُلُوبهم وفشت فيهم الْمعاصِي وَذَهَبت أماناتهم فضعفت النُّفُوس وقنطت الْقُلُوب فضعفوا عَن إِقَامَة الْحق فتعاطوا الْبَاطِل وبخسوا الْكَيْل وَالْمِيزَان وروجوا البهرج فُرفعت مِنْهُم الْبركَة وَأمْسكت السَّمَاء غيثها وَلم تخرج الأَرْض زَرعهَا ونباتها فَقل فِي أَيْديهم الحطام فقنطوا وأمسكوا الْفضل الْمَوْجُود وتناجزوا على الْمَفْقُود فمنعوا الزكوات الْمَفْرُوضَة وبخلوا بالمواساة المسنونة وقبضوا أَيْديهم عَن المكارم وفشت فِيهِ الْأَيْمَان الكاذبة والختل فِي البيع وَالشِّرَاء وَالْمَكْر والحيل فِي الْقَضَاء والاقتضاء فيظل أحدهم عَارِيا من محَاسِن دينه متجردا من جِلْبَاب مروءته وَمن عَاشَ كَذَلِك فبطن الأَرْض خير لَهُ من ظهرهَا).(٢٧)

ولقد عقد ابن خلدون فصلاً في المقدمة بعنوان "الظلم مؤذن بخراب العمران" قال فيه:

(ولا تحسبن الظلم إنما هو أخذ المال أو الملك من يد مالكه من غير عوض ولا سبب كما هو المشهور بل الظلم أعم من ذلك وكل من أخذ ملك أحد أو غصبه في عمله أو طالبه بغير حق أو فرض عليه حقا لم

---

(٢٢) أخرجه مسلم كتاب البر والصله والآداب – باب تحريم الظلم – رقم (٢٥٧٧) – ١٩٩/٤.
(٢٣) المعجم الأوسط – باب الألف من اسمه أحمد – رقم (١٥٩٥) – ١٦٦/٢ ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد – كتاب الخلافة – باب الاستخلاف – ووحيه متولي – رقم (٩٠٠٤) – ١٩٧/٥.
(٢٤) سورة إبراهيم: آية ١٣.
(٢٥) سورة القصص: آية ٤٠.
(٢٦) الفتاوى: ابن تيمية – ١٤٦/٢٨.
(٢٧) حسن السلوك الحافظ دولة الملوك – ابن الموصلى – (المتوفى ٧٧٤ه) – ص٢٠٣.

يفرضه الشرع فقد ظلمه فجباة الأموال بغير حقها ظلمة والمنتهبون لها ظلمة والمانعون لحقوق الناس ظلمة ووبال ذلك كله عائد على الدولة بخراب العمران).[٢٨]

وهذه السنة مطردة في كل أمة ظالمة قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾[٢٩]

قال القرطبى في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾﴾.[٣٠]

فإن الجور والظلم يخرب البلاد بقتل أهلها وانجلائهم عنها وترفع من الأرض البركة.[٣١]

فالإنصاف وعدم الظلم من الحاكم يرقق له القلوب، ويروض له العقول، فلا يجوز للحاكم: "يظلم من ليس على ديانته، وإنما لابد أن يكون العدل والإنصاف للجميع سواء.

(يعد إنصاف غير المسلمين له أهمية في ترقيق القلوب وترويض العقول، فلا يجوز أن نغرض أصحاب الحقوق حقوقهم حتى ولو كانوا يدينون بغير ملتنا، وذلك أن الحق أحق أن يتبع، فلا ينبغي إصدار حكماً عاماً يشمل الظالم والعادل والمنصف وصاحب الهوي).[٣٢]

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾[٣٣] .

(أجمع السلمون على أن الولايات من أفضل الطاعات فإن الولاة المقسطين أعظم أجر وأجل قدراً من غيرهم، لكثرة ما يجري على أيديهم من إقامة الحق ودرء الباطل، فإن أحدهم يقول الكلمة الواحدة فيدفع بها مئة ألف وصلحة مظلومة فما دونها، فيما له من كلام يسير وأجر كبير).[٣٤]

المبحث الثاني: ظلم الأمم كما يراه القرآن الكريم

ويشمل المبحث الثاني على المطالب التالية:

المطلب الأول: ظلم قوم نوح عليه السلام.

المطلب الثاني: ظلم قوم لوط عليه السلام.

المطلب الثالث: ظلم قوم شعيب عليه السلام.

---

(٢٨) المقدمة – ابن خلدون – ص ٢٢٣.
(٢٩) سورة هود: الآيات ١٠١-١٠٢.
(٣٠) سورة الرعد: آية ٤١.
(٣١) تفسير القرطبى: ٢٢٩/١.
(٣٢) التعامل مع غير المسلمين في العهد النبوي – ناصر محمدّي محمد جاد – ص ٧٢.
(٣٣) سورة النساء: آية ١٣٥.
(٣٤) قواعد الاحكام في مصالح الأنام – العز بن عبد السلام – ١٤٢/١.

المطلب الأول: ظلم قوم نوح عليه السلام:

قَالَ تَعَالَىٰ: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾.[٣٥]

أنْ لا تَعْبُدُوا إلَّا اللَّهَ إنِّي أخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ ألِيمٍ مؤلم، بعث نوح وأمره ربّه ببناء، السفينة وهو ابن ستمائة سنة وكان عمره ألفا وخمسين عاما ولبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة، قال الله تعالى فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إلَّا خَمْسِينَ عاماً أي فلبث فيهم داعيا فَقالَ المَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ما نَراكَ يا نوح إلَّا بَشَراً مِثْلَنا آدميا مثلنا وَما نَراكَ اتَّبَعَكَ إلَّا الَّذِينَ هُمْ أراذِلُنا سفلتنا بادِيَ الرَّأي من غير روية ولا فكرة يعني: آمنوا من غير روية.[٣٦]

نوحا عليه السلام قال لقومه حين أرسله الله إليهم إني لكم أيها القوم نذير مبين يعني بين النذارة أخوف بالعقاب من خالف أمر الله وعبد غيره وهو قوله سبحانه وتعالى: أنْ لا تَعْبُدُوا إلَّا اللَّهَ إنِّي أخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ ألِيمٍ يعني مؤلم موجع قال ابن عباس: بعث نوح بعد أربعين سنة ولبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة فكان عمره ألفا وخمسين سنة.[٣٧]

وقد أجابوه عن مقالته بأربع حجج داحضة ظنا منهم أنها تكفى فى رد دعوته.

(١) (فَقالَ المَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ما نَراكَ إلَّا بَشَراً مِثْلَنا) أي إن الأشراف والزعماء بادروا إلى الجواب بقولهم: ما أنت إلا بشر مثلنا فى الجنس لا مزية لك علينا تجعلنا نطيعك ونذعن لنبوتك.

(٢) (وَما نَراكَ اتَّبَعَكَ إلَّا الَّذِينَ هُمْ أراذِلُنا بادِيَ الرَّأي) أي وإنا لم نر متبعيك إلا الأخساء كالزرّاع والصناع ومن فى حكمهم فى المكانة الاجتماعية، بادى الرأى قبل التأمل فى عواقبه، والنظر فى مستنده، وترجيح العقل له، وهذا مما يرجح رد الدعوة والتولي عنها.

(٣) (وَما نَرى لَكُمْ عَلَيْنا مِنْ فَضْلٍ) أي وما نرى لك ولمن اتبعك أدنى امتياز عنا من قوة أو كثرة أو علم أو أصالة رأى يحملنا على اتباعكم ويجعلنا ننزل عن جاهنا ومالنا ونكون نحن وأنتم سواء.

(٤) (بَلْ نَظُنُّكُمْ كاذِبِينَ) أي بل إنا نرجح الحكم عليك وعليهم بالكذب، فأنت كاذب فى دعوى النبوة، وهم كاذبون فى تصديقك، وهذه الشبهة الأخيرة طعن على نوح عليه السلام أشركوا فيها أتباعه ولم يجابهوه بها وحده كما أنهم جعلوها ظنا ولم يجزموا بها، لأن ذلك كاف فى رد دعوته، وعدم الدخول فى دينه.[٣٨]

قَالَ تَعَالَىٰ: قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ ".[٣٩]

قالَ نُوحٌ رَبِّ إنَّهُمْ عصونى فيما أمرتهم به من الإيمان والاستغفار {واتبعوا} أي السفلة والفقراء {مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ} أي الرؤساء وأصحاب الأموال والأولاد إلاَّ خَسَارًا في الآخرة {وَمَكَرُواْ} معطوف على لَّمْ يَزِدْهُ وجمع الضمير وهو راجع إلى من لأنه في معنى الجمع والماكرون هم الرؤساء ومكرهم احتيالهم في

---

(٣٥) سورة هود: الآيات ٢٥-٢٧.
(٣٦) الكشف والبيان عن تفسير القرآن ــ الثعلبي ــ ١٦٥/٥.
(٣٧) لباب التأويل في معاني التنزيل ــ الخازن ــ ٤٨٠/٢.
(٣٨) تفسير المراغي – المراغي – ٢٣/١٢
(٣٩) سورة نوح: الآيات ٢١-٢٣.

الدين وكيدهم لنوح وتحريش الناس على أذاه وصدهم عن الميل إليه {مَكْراً كُبَّاراً} عظيماً وهو أكبر من الكبار وقرئ به وهو أكبر من الكبير {وقالوا} أي الرؤساء لسفلتهم {لا تذرن آلهتكم}صنم على صورة رجل {وَلاَ سُوَاعاً} هو على صورة امرأة {وَلاَ يَغُوثَ} هو على صورة أسد {وَيَعُوقَ} هو على صورة فرس{وَنَسْراً} هو على صورة نسر أي هذه الأصنام الخمسة على الخصوص وكأنها كانت أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم فخصوها بعد العموم وقد انتقلت هذه الأصنام عن قوم نوح إلى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقيل هي أسماء رجال صالحين كان الناس يقتدون بهم بين آدم ونوح فلما ماتوا صوروهم ليكون ذلك أدعى لهم إلى العبادة فلما طال الزمان قال لهم إبليس إنهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم.(٤٠)

قالَ مناجياً لهُ تعالَى {رَّبّ إِنَّهُمْ عصونى} أيْ تمرَّدوا على عصيانِي فيما أمرتُهُم بهِ مع ما بالغتُ في إرشادِهِم بالعظةِ والتذكيرِ {واتبعوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَاراً} أيْ واستمرُّوا على اتِّباعِ رؤسائِهِم الذينَ أبطرَتْهُم أموالُهُم وغرتْهُم أولادُهُم وصارَ ذلكَ سبباً لزيادةِ خسارِهِم في الآخرةِ فصَارُوا أسوةً لهم في الخسارِ وفي وصفِهِم بذلكَ إشعارٌ بأنَّهُم إنَّما اتبعوهم لوجاهتِهم الحاصلةِ لهم بسببِ الأموالِ والاولادِ لا لما شاهدُوا فيهم من شُبهةٍ مُصححةٍ للاتباعِ في الجملةِ.(٤١)

قَالَ تَعَالَىٰ: وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ".(٤٢)

(وَلَمَّا أَمَرَهُ تَعَالَى بِأَنْ يَصْنَعَ الْفُلْكَ قَالَ: يَا رَبِّ مَا أَنَا بِنَجَّارٍ، قَالَ: بَلَى، ذَلِكَ بِعَيْنِي. فَأَخَذَ الْقَدُومَ، وَجَعَلَتْ يَدُهُ لَا تَخطىء، فَكَانُوا يَمُرُّونَ بِهِ وَيَقُولُونَ: هَذَا الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ صَارَ نَجَّارًا؟ وَقِيلَ: كَانَتِ الْمَلَائِكَةُ تُعَلِّمُهُ، وَاسْتَأْجَرَ أُجَرَاءَ كَانُوا يَنْحِتُونَ مَعَهُ، وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ عَجِّلْ عَمَلَ السَّفِينَةِ فَقَدِ اشْتَدَّ غَضَبِي عَلَى مَنْ عَصَانِي، وَسُخْرِيَتُهُمْ مِنْهُ لِكَوْنِهِمْ رَأَوْهُ يَبْنِي السَّفِينَةَ وَلَمْ يُشَاهِدُوا قَبْلَهَا سَفِينَةً بُنِيَتْ، قَالُوا: يَا نُوحُ مَا تَصْنَعُ؟ قَالَ:

(٤٠) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) ــ النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ) ــ ٥٤٥/٣.
(٤١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم – أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى – ٤٠/٩.
(٤٢) سورة هود: الآيات ٣٦-٤٤.

ابْنِي بَيْتًا يَمْشِي عَلَى الْمَاءِ، فَعَجِبُوا مِنْ قَوْلِهِ وَسَخِرُوا مِنْهُ قَالَهُ: مُقَاتِلٌ.

وَقِيلَ: لِكَوْنِهِ يَبْنِي فِي قَرْيَةٍ لَا قُرْبَ لَهَا مِنَ الْبَحْرِ، فَكَانُوا يَتَضَاحَكُونَ وَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ صرت نجارا بعد ما كُنْتَ نَبِيًّا. وَكُلَّمَا ظَرْفٌ الْعَامِلُ فِيهِ سَخِرُوا مِنْهُ).[٤٣]

وبعد ان لاقي سيدنا نوح منهم اشد الايذاء كما اخبر تعالي

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ۝٩ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ۝١٠﴾ [٤٤]

(وفى هذا وعيدٌ لقريشٍ، وضَرْبُ مَثَلٍ لهم، إخبار من الله عز وجل أنّهم زجروا نوحا بالسَّبِّ والتخويف، فانتصر لي منهم بأن تهلِكَهُمْ).[٤٥]

(فكذبت قبل قومك يا محمد قوم نوح فكذبوا عبدنا أي صرحوا له بالتكذيب واتهموه بالجنون وقالوا مجنون وازدجر أي استطير جنونا، وقيل: وازدجر أي انتهروه وزجروه وتواعدوه لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين قَالَ تَعَالَىٰ: قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ۝١١٦[٤٦]**، فدعا ربه أني مغلوب فانتصر أي إني ضعيف عن هؤلاء وعن مقاومتهم فانتصر أنت لدينك).**[٤٧]

(كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ أي: قبل أهل مكة قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا نوحاً عليه السلام ومعنى تكرار التكذيب أنهم كذّبوا تكذيباً عقب تكذيب، كلما خلا منهم قرن مكذّب، جاء عقبه قرن آخر مكذّب مثله، وقيل: كذبت قوم نوح الرسل، (فكذّبوا عبدنا) لأنه من جملتهم. وفي ذكره عليه السلام بعنوان العبودية مع إضافته لنون العظمة تفخيم له عليه السلام ورفع لمحله، وزيادة تشنيع لمكذّبيه، وَقَالُوا مَجْنُونٌ أي: لم يقتصروا على مجرد التكذيب، بل نسبوه للجنون، وَازْدُجِرَ أي: زجر عن أداء الرسالة بالشتم، وهدّد بالقتل، أو: هو من جملة قولهم، أي: قالوا: هو مجنون وقد ازدجرته الجن، أي: تخبّطته وذهبت بلُبه).[٤٨]

أمره تعالي ان يصنع السفينة بوحي منه تعالي، وكلما مر عليه جماعة من كبراء قومه سخروا منه، فهذا جزاء الظلمة الذين دعاهم رسولهم ألف سنة إلا خمسين عاما ليلا ونهارا وسرا وجهارا ولم يزدهم ذلك إلا فرارا عن توحيد الله تعالي وإعراضهم وتكذيبهم.

فقال تعالي حكاية عن نوح عليه السلام، قَالَ تَعَالَىٰ: قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۚ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٤ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩ ".[٤٩]

([٤٣]) البحر المحيط في التفسير– أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي – ١٥٢/٦

([٤٤]) سورة القمر: الآيات ٩–١٠.

([٤٥]) الجواهر الحسان في تفسير القرآن – الثعالبي – ٣٣٨/٥.

([٤٦]) سورة الشعراء – آية ١١٦.

([٤٧]) تفسير القرآن العظيم ــ ابن كثير ــ ٤٤١/٧.

([٤٨]) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد – أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي – ٥٢٤/٥.

([٤٩]) سورة نوح، الآيات: ٢–٩.

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ نُوحٍ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنَّهُ أَرْسَلَهُ إِلَى قَوْمِهِ آمِرًا لَهُ أَنْ يُنْذِرَهُمْ بَأْسَ اللَّهِ قَبْلَ حُلُولِهِ بِهِمْ، فَإِنْ تَابُوا وَأَنَابُوا رَفَعَ عَنْهُمْ؛ وَلِهَذَا قَالَ: {أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ} أَيْ: بَيِّنُ النِّذَارَةِ، ظَاهِرُ الْأَمْرِ وَاضِحُهُ.(٥٠)

(إني لكم نذير أنذركم، وآمركم عبادة الله (وَاتَّقُوهُ) يقول: واتقوا عقابه بالإيمان به، والعمل بطاعته وانتهوا إلى ما آمركم به، واقبلوا نصيحتي لكم، يغفر لكم ذنوبكم، (يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ) إنما هو: ويصفح لكم، ويعفو لكم عنها؛ وقد يحتمل أن يكون معناها يغفر لكم من ذنوبكم ما قد وعدكم العقوبة عليه. فأما ما لم يعدكم العقوبة عليه فقد تقدّم عفوه لكم عنها قال نوح لما بلغ قومه رسالة ربه، وأنذرهم ما أمره به أن ينذرهموه فعصوه، وردّوا عليه ما أتاهم به من عنده (رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلا وَنَهَارًا) إلى توحيدك وعبادتك، وحذرتهم بأسك وسطوتك، (فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إلا فِرَارًا) يقول: فلم يزدهم دعائي إياهم إلى ما دعوتهم إليه من الحقّ الذي أرسلتني به لهم (إلا فِرَارًا) يقول: إلا إدبارا عنه وهربا منه وإعراضا عنه ، وقوله: (وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ) وإني كلما دعوتهم إلى الإقرار بوحدانيتك، والعمل بطاعتك، والبراءة من عبادة كلّ ما سواك، لتغفر لهم إذا هم فعلوا ذلك جعلوا أصابعهم في آذانهم لئلا يسمعوا دعائي إياهم إلى ذلك (وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ) يقول: وتغشوا في ثيابهم، وتغطوا بها لئلا يسمعوا دعائي).(٥١)

المطلب الأول: ظلم قوم لوط عليه السلام:

قَالَ تَعَالَىٰ: وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ .(٥٢)

(يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ نَبِيِّهِ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِنَّهُ أَنْكَرَ عَلَى قَوْمِهِ سُوءَ صَنِيعِهِمْ، وَمَا كَانُوا يَفْعَلُونَهُ مِنْ قَبِيحِ الْأَعْمَالِ، فِي إِتْيَانِهِمُ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ، وَلَمْ يَسْبِقْهُمْ إِلَى هَذِهِ الْفِعْلَةِ أَحَدٌ مِنْ بَنِي آدَمَ قَبْلَهُمْ. وَكَانُوا مَعَ هَذَا يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ، وَيُكَذِّبُونَ رَسُولَهُ وَيُخَالِفُونَهُ وَيَقْطَعُونَ السَّبِيلَ، أَيْ: يَقِفُونَ فِي طَرِيقِ النَّاسِ يَقْتُلُونَهُمْ وَيَأْخُذُونَ أَمْوَالَهُمْ، {وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ} أَيْ: يَفْعَلُونَ مَا لَا يَلِيقُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ فِي مَجَالِسِهِمُ الَّتِي يَجْتَمِعُونَ فِيهَا، لَا يُنْكِرُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، فَمِنْ قَائِلٍ: كَانُوا يَأْتُونَ بَعْضَهُمْ بَعْضًا فِي الْمَلَأِ قَالَهُ مُجَاهِدٌ. وَمِنْ قَائِلٍ: كَانُوا يَتَضَارَطُونَ وَيَتَضَاحَكُونَ؛ قَالَتْهُ عَائِشَةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَالْقَاسِمُ. وَمِنْ قَائِلٍ: كَانُوا يُنَاطِحُونَ بَيْنَ الْكِبَاشِ، وَيُنَاقِرُونَ بَيْنَ الدُّيُوكِ، وَكُلُّ ذَلِكَ كَانَ يَصْدُرُ عَنْهُمْ، وَكَانُوا شَرًّا مِنْ ذَلِكَ).(٥٣)

ومع هذا لم تكن اجابتهم الا الاستهزاء والسخرية (ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين)

(٥٠) تفسير القرآن العظيم – بن كثير – ٢٣٨/٨.
(٥١) جامع البيان في تأويل القرآن – الطبري – ٦٣٠/٢٣ ــ ٦٣١.
(٥٢) سورة العنكبوت: الآيات ٢٨–٢٩.
(٥٣) تفسير القران العظيم ابن كثير ــ ٤١١/٣.

و قَالَ تَعَالَىٰ: كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾.(٥٤)

فالذُّكْرانَ جمع ذكر مقابل الأنثى، والظاهر أن مِنَ الْعالَمِينَ متصل به أي أتأتون الذكران من أولاد بني آدم على فرط كثرتهم وتفاوت أجناسهم وغلبة إناثهم على ذكرانهم كأن الإناث قد أعوزتكم فالمراد بالعالمين الناس لأن المأتي الذكور منهم خاصة والعالم على هذا ما يعلم به الخالق سبحانه والجمع للتغليب وخروج غيره لما مر. ولا يضر كون الحمار والخنزير يأتيان الذكور في أمر الاختصاص للندرة أو لإسقاطهما عن حيز الاعتبار، وجوز أن يراد بالعالمين على الوجه الثاني الناس أيضا، وإذا قيل بشمولهم لمن تقدم من العالمين تفيد الآية أنهم أول من سن هذه السنة السيئة كما يفصح عنه قوله تعالى: وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾.(٥٥)

قَالَ تَعَالَىٰ: وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾.(٥٦)

(وَتَذَرُونَ ما خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ لأجل استمتاعكم، وكلمة مِنْ في قوله تعالى: مِنْ أَزْواجِكُمْ للبيان إن أريد بما جنس الإناث، ولعل في الكلام حينئذ مضافين محذوفين أي وتذرون إتيان فروج ما خلق لكم أو للتبعيض إن أريد بما العضو المباح من الأزواج وهو على المشهور عند أهل السنة حرام بل كبيرة، وقيل: هو مباح، المتعدي في ظلمه المتجاوز فيه الحد ومتعلقه مقدر وهو إما عام أو خاص أي بل أنتم قوم متعدون متجاوزون الحد في جميع المعاصي وهذا من جملتها أو متجاوزون عن حد الشهوة حيث زدتم على سائر الناس بل أكثر الحيوانات وقيل: متجاوزون الحد في الظلم حيث ظلمتم بإتيان ما لم يخلق للإتيان وترك إتيان ما خلق له).(٥٧)

قَالَ تَعَالَىٰ: وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ ۚ.(٥٨)

(ولُوطاً يعني وأرسلنا لوطا وقيل معناه: واذكر لوطا. وهو لوط بن [هاران] بن تارخ أخي إبراهيم (عليه السلام) إذْ قالَ لِقَوْمِهِ وهم أهل سدوم، وذلك أنّ لوطا شخص من أرض بابل مع عمّه إبراهيم (عليه السلام) مؤمنا به مهاجرا معه إلى الشام فنزل إبراهيم (عليه السلام) فلسطين وأنزل ابن أخيه لوطا الأردن فأرسل الله إلى أهل سدوم فقال لهم: أَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ يعني إتيان الذكران ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ قال عمرو بن دينار: ما كان يزني ذكر على ذكر في الدنيا حتّى كان قوم لوط إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ في أدبارهم شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّساءِ يعني أدبار الرجال أشهى عندكم من فروج النساء بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ مشركون تبدّلون الحلال إلى الحرام).(٥٩)

استجاب المولي عز وجل لدعاء سيدنا نوح عليه السلام علي قومه الظالمين

---

(٥٤) سورة الشعراء: الآيات ١٦٠ – ١٦٦.
(٥٥) سورة الأعراف: آية ٨٠.
(٥٦) سورة العنكبوت: آية ٢٨.
(٥٧) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – الألوسي – ١١٢/١٠.
(٥٨) سورة الأعراف: الآيات ٨٠–٨١.
(٥٩) الكشف والبيان عن تفسير القرآن – الثعلبي – ٢٥٨/٤.

قَالَ تَعَالَىٰ:قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِۖ إِنَّ أَهۡلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ ".[٦٠]

فالعاصين بإتيان الرجال في أدبارهم، استجاب الله دعاءه فبعث جبريل في اثني عشر ملكًا فذلك قوله: {وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى}.[٦١]

(أي الذين فيهم من القوة ما لا طاقة لي بهم معه المفسدين بإتيان ما تعلم من القبائح ولما كان التقدير: فاستجبنا له فأرسلنا رسلنا بشرى لعمه إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ولإهلاك قوم لوط عليه الصلاة والسلام، تحقيقاً لانتقامنا من المجرمين، وإنعامنا على الصالحين، ولابتلائنا لمن نريد من عبادنا حيث جعلنا النذارة مقارنة للبشارة).[٦٢]

ولما جاء الرسل من قبل المولي عز وجل لسيدنا لوط عليه السلام ارسلوا لاهلاك قوم لوط، الا لوطا واهله فانهم منجون من عذاب الله ما عدا امرأته فانه مصيبها ما اصاب القوم المجرمين، فلما وصل رسل الله الي لوط عليه السلام اقبل اليه قومه مسرعين يريدون ان يعملوا الفاحشة باضيافه، فأخذ في محاولة ردهم عن اضيافه حتي عجز، فاخبره الملائكة انهم رسل الله وانهم لن يصلوا اليهم.

قَالَ تَعَالَىٰ: وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ﴿٧٨﴾ قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ﴿٨٠﴾ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ ﴿٨٣﴾ .[٦٣]

(فلما جاء أمرنا أي: الوقت المضروب لوقوع العذاب فيه، أو المراد بالأمر: نفس العذاب جعلنا عاليها سافلها أي: عالي قرى لوط سافلها،والمعنى: أنه قلبها على هذه الهيئة، وهي كون عاليها صار سافلها وسافلها صار عاليها، وذلك لأن جبريل أدخل جناحه تحتها فرفعها من تخوم الأرض حتى أدناها من السماء ثم قلبها عليهم وأمطرنا عليها حجارة من سجيل قيل: إنه يقال أمطرنا في العذاب ومطرنا في الرحمة وقيل: هما لغتان، يقال مطرت السماء وأمطرت، حكى ذلك الهروي، والسجيل: الطين المتحجر بطبخ أو غيره وقيل: هو الشديد الصلب من الحجارة وقيل:

---

(٦٠) سورة العنكبوت: الآيات ٣٠-٣١.
(٦١) التَّفْسِيرُ البَسِيْط ــ الواحدي ــ ٥٢١/١٧.
(٦٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور – البقاعي – ٤٢٩/١٤.
(٦٣) سورة هود: الآيات ٧٧-٨٣.

السجيل: الكثير وقيل: إن السجيل لفظة غير عربية، أصله سج وجيل، وهما بالفارسية حجر وطين عربتهما العرب فجعلتهما اسما واحدا وقيل: هو من لغة العرب. وذكر الهروي: أن السجيل اسم لسماء الدنيا).[٦٤]

المطلب الأول: ظلم قوم شعيب عليه السلام:

قَالَ تَعَالَىٰ: وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾.[٦٥]

(فارسل الله شعيبا عليه السلام الي مدين وهم قبيلة من العرب كانوا يسكنون بين الحجاز والشام قريبا من معان، بلادا تعرف بهم يقال لها مدين، وكان شعيب عليه السلام من اشرفهم نسبا).[٦٦]

لقد دعا سيدنا شعيب عليه السلام قومه الي عبادة الله وحده لا شريك، ونهاهم عن التطفيف في المكيال والميزان، وان عليهم عليهم ان لا يظلموا وان يعدلوا ويقسطوا.

قَالَ تَعَالَىٰ: وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴿٣﴾.[٦٧]

(فالوادي الذي يسيل من صديد أهل جهنم في أسفلها للذين يُطففون، يعني: للذين ينقصون الناس، ويبخسونهم حقوقهم في مكاييلهم إذا كالوهم، أو موازينهم إذا وزنوا لهم عن الواجب لهم من الوفاء، وأصل ذلك من الشيء الطفيف، وهو القليل النزر، والمطفّف: المقلّل حقّ صاحب الحقّ عما له من الوفاء والتمام في كيل أو وزن؛ ومنه قيل للقوم الذي يكونون سواء في حسبة أو عدد: هم سواء كطفّ الصاع، يعني بذلك: كقرب الممتلئ منه ناقص عن الملء وقوله: (الَّذِينَ إذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاس يَسْتَوْفُونَ) يقول تعالى ذكره: الذين إذا اكتالوا من الناس ما لهم قبلهم من حقّ، يستوفون لأنفسهم فيكتالونه منهم وافيا، وقوله: (وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ) يقول: وإذا هم كالوا للناس أو وزنوا لهم. ومن لغة أهل الحجاز أن يقولوا: وزنتك حقك، وكلتك طعامك، بمعنى: وزنت لك وكلت لك (يُخْسِرُونَ) يقول: ينقصونهم).[٦٨]

ولكن قابلوا شعيبا مقابلة سيئة وردوا عليه ردا قبيحا فاضحا، قَالَ تَعَالَىٰ: قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾.[٦٩]

(لا أقدر على اجتلاب نفع إلى نفسي، ولا دفع ضر يحلّ بها عنها إلا ما شاء الله أن أملكه من ذلك، بأن يقوّيني عليه ويعينني يقول: لو كنت أعلم ما هو كائن مما لم يكن بعد (لاستكثرت من الخير)، يقول: لأعددت الكثير من الخير).[٧٠]

---

(٦٤) فتح القدير – الشوكاني – ٥٨٥/٢.
(٦٥) سورة الأعراف: الآيات ٨٥-٨٦.
(٦٦) تفسير القران العظيم ــ ابن كثير ٤٥٥/٢.
(٦٧) سورة المطففين: الآيات ١-٣.
(٦٨) جامع البيان في تأويل القرآن – الطبري – ٢٨٧/٢٤.
(٦٩) سورة الأعراف: آية ١٨٨.
(٧٠) جامع البيان في تأويل القرآن – الطبري – ٣٠٢/١٣.

ولقد ندد المولي بظلم اولئك القوم في مواضع كثيرة من كتابه الكريم:

قَالَ تَعَالَىٰ: ۞وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۖ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴿٨٦﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقٗا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ﴿٨٩﴾ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ ﴿٩٣﴾.(٧١)

(وأرسلنا إلى مدين- وهم قوم شعيب- أخاهم في النسب شعيبا، وسموا مدين: باسم أبيهم، وهو مدين بن إبراهيم وقيل: باسم مدينتهم وقد كان شعيب عليه السلام يسمى خطيب الأنبياء لحسن مراجعته لقومه، أمرهم أولا بعبادة الله سبحانه الذي هو الإله وحده لا شريك له، ثم نهاهم عن أن ينقصوا المكيال والميزان، لأنهم كانوا مع كفرهم أهل تطفيف، كانوا إذا جاءهم البائع بالطعام أخذوا بكيل زائد وكذلك إذا وصل إليهم الموزون أخذوا بوزن زائد، وإذا باعوا باعوا بكيل ناقص ووزن ناقص أي: لا تنقصوا المكيال والميزان لأني أراكم بخير، أي: بثروة واسعة في الرزق فلا تغيروا نعمة الله عليكم بمعصيته والإضرار بعباده، ففي هذه النعمة ما يغنيكم عن أخذ أموال الناس بغير حقها، ثم ذكر بعد هذه العلة علة أخرى، فقال: وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط فهذه العلة فيها الإذكار لهم بعذاب الآخرة كما أن العلة الأولى فيها الإذكار لهم بنعيم الدنيا ووصف اليوم بالإحاطة والمراد: العذاب، لأن العذاب واقع في اليوم ومعنى إحاطة عذاب اليوم بهم أنه لا يشذ منهم أحد عنه ولا يجدون منه ملجأ ولا مهربا، واليوم هو يوم القيامة ثم أكد النهي عن نقص الكيل والوزن بقوله: ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط والإيفاء: هو الإتمام، والقسط: العدل، وهو عدم الزيادة والنقص وإن كان الزيادة على الإيفاء فضل وخير، ولكنها فوق ما يفيده اسم العدل، والنهي عن النقص).(٧٢)

وقال تعالي عن تكذيبهم، وظلمهم للاخرين في التطفيف في المكيال والميزان وبخس الناس حقوقهم قَالَ تَعَالَىٰ: كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ شُعَيۡبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞أَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُخۡسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿١٨٣﴾

(٧١) سورة هود: الآيات ٨٤-٩٣.
(٧٢) فتح القدير – الشوكاني – ٥٨٨/٢.

وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ وَٱلۡجِبِلَّةَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ ".[٧٣]

قال ابن كثير :

(هَؤُلَاءِ -أَعْنِي أَصْحَابَ الْأَيْكَةِ -هُمْ أَهْلُ مَدْيَنَ عَلَى الصَّحِيحِ. وَكَانَ نَبِيُّ اللَّهِ شُعَيْبٌ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَإِنَّمَا لَمْ يَقُلْ هُنَا أَخُوهُمْ شُعَيْبٌ؛ لِأَنَّهُمْ نُسِبُوا إِلَى عِبَادَةِ الْأَيْكَةِ، وَهِيَ شَجَرَةٌ. وَقِيلَ: شَجَرٌ مُلْتَفٌّ كالغيضة، كَانُوا يَعْبُدُونَهَا؛ فَلِهَذَا لَمَّا قَالَ: كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ، لَمْ يَقُلْ: "إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ شُعَيْبٌ"، وَإِنَّمَا قَالَ: {إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ} ، فَقَطَعَ نِسْبَةَ الْأُخُوَّةِ بَيْنَهُمْ؛ لِلْمَعْنَى الَّذِي نُسِبُوا إِلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ أَخَاهُمْ نَسَبًا. وَمِنَ النَّاسِ مَنْ لَمْ يَتَفَطَّنْ لِهَذِهِ النكتة، فظن أن أصحاب الأيكة غير أَهْلِ مَدْيَنَ، فَزَعَمَ أَنَّ شُعَيْبًا عَلَيْهِ السَّلَامُ، بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أُمَّتَيْنِ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: ثَلَاثِ أُمَمٍ).[٧٤]

وقال تعالي: وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٣٦﴾ ".[٧٥]

(ومدين: اسم قرية شعيب في شمال الحجاز، وشُعيب عربي. وارجو اليوم الآخر: توقعوا يوم القيامة وما يحدث فيه من أهوال. لا تعثوا: لا تفسدوا. الرجفة: الزلزلة. جاثمين: باركين على ركبكم، هالكين. ما كانوا سابقين: وما كانوا هرابين. حاصبا: ريحا فيها رمل وحجارة صغيرة).[٧٦]

لقد انذرهم سيدنا شعيب عليه السلام عذاب الله وبين لهم ما اصاب الاقوام الذين ظلموا قبلهم من هلاك الله وعذابه لهم، ودعاهم ان يستغفروا ربهم من ذنوبهم ويتوبوا اليه مما يخالف امره. قَالَ تَعَالَىٰ: وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ﴿٨٩﴾ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ﴿٩٠﴾ ".[٧٧]

({أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْل مَا أَصَابَ قَوْم نُوح أَوْ قَوْم هُود أَوْ قَوْم صَالِح} مِنْ الْعَذَاب {وَمَا قَوْم لُوط} أَيْ مَنَازِلهمْ أَوْ زَمَن هَلَاكهمْ {مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ} فَاعْتَبِرُوا {وَاسْتَغْفِرُوا رَبّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيم} بِالْمُؤْمِنِينَ {وَدُود} مُحِبّ لَهُمْ).[٧٨]

بعد هذا النصح والدعوة من شعيب عليه السلام لقومه وعدم الاستجابة له انزل الله عليهم عذابه وحل بهم مثلما حل بمن قبلهم من الامم جزاء علي ظلمهم.

قَالَ تَعَالَىٰ: وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ ".[٧٩]

وقوله (جَاثِمِينَ) أي: هامدين لا حِرَاك بهم. وذكر هاهنا أنه أتتهم صيحة، وفي الأعراف رجفة، وفي الشعراء عذاب يوم الظلة، وهم أمة واحدة، اجتمع عليهم يوم عذابهم هذه النقمُ كلها. وإنما ذكر في كل سياق ما يناسبه، ففي الأعراف لما قالوا: { لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا } قَالَ تَعَالَىٰ: ۞قَالَ ٱلۡمَلَأُ

([٧٣]) سورة الشعراء: آية ١٧٦-١٨٨.
([٧٤]) تفسير القران العظيم ــ ابن كثير ــ ١٥٩/٦
([٧٥]) سورة العنكبوت: آية ٣٦.
([٧٦]) تيسير التفسير – القطان – ٧٠/٣.
([٧٧]) سورة هود – آية ٨٩-٩٠.
([٧٨]) تفسير الجلالين – المحلي و السيوطي – ص٢٩٨.
([٧٩]) سورة هود – آية ٩٤.

ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾"[٨٠]، **ناسب أن يذكر هناك الرجفة، فرجفت بهم الأرض التي ظلموا بها، وأرادوا إخراج نبيهم منها، وهاهنا لما أساءوا الأدب في مقالتهم على نبيهم ناسب ذكر الصيحة التي أسكتتهم وأخمدتهم، وفي الشعراء لما قالوا: { فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ }** قَالَ تَعَالَى: فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾"[٨١]، **وهذا من الأسرار الغريبة الدقيقة).**[٨٢]

(ولما جاء قضاؤنا في قوم شعيب، بعذابنا "نجينا شعيبًا" رسولنا، والذين آمنوا به فصدقوه على ما جاءهم به من عند ربهم مع شعيب، من عذابنا الذي بعثنا على قومه برحمة منا له ولمن آمن به وأتبعه على ما جاءهم به من عند ربهم، وأخذت الذين ظلموا صيحة من السماء أخمدتهم، فأهلكتهم بكفرهم بربهم، وقيل: إن جبريل عليه السلام، صاح بهم صَيحة أخرجت أرواحهم من أجسامهم (فأصبحوا في ديارهم جاثمين) على ركبهم ، وصرعى بأفنيتهم).[٨٣]

فانزل الله العذاب علي قوم شعيب بسبب ظلمهم، وانذرهم شعيب عذاب الله تعالي ولم يسمعوا لذلك قَالَ تَعَالَىٰ: وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓاْ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾"[٨٤].

قال الطبري رحمه الله:

(وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ مِنَ السَّمَاءِ أَخْمَدَتْهُمْ فَأَهْلَكَتْهُمْ بِكُفْرِهِمْ بِرَبِّهِمْ. وَقِيلَ: إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، صَاحَ بِهِمْ صَيْحَةً [ص:٥٦٠] أَخْرَجَتْ أَرْوَاحَهُمْ مِنْ أَجْسَامِهِمْ. {فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ} [هود: ٦٧] عَلَى رُكَبِهِمْ وَصَرْعَى بِأَفْنِيَتِهِمْ أَنْ لَمْ يَعِشْ قَوْمُ شُعَيْبٍ الَّذِينَ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ بِعَذَابِهِ حِينَ أَصْبَحُوا جَاثِمِينَ فِي دِيَارِهِمْ قَبْلَ ذَلِكَ. وَلَمْ يَغْنَوْا، مِنْ قَوْلِهِمْ).[٨٥]

وقال تعالي: فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾"[٨٦].

قال ابن كثير:

(وَذَكَرَ هَاهُنَا أَنَّهُ أَتَتْهُمْ صَيْحَةٌ، وَفِي الْأَعْرَافِ رَجْفَةٌ، وَفِي الشُّعَرَاءِ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ، وَهُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ، اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ يَوْمَ عَذَابِهِمْ هَذِهِ النقمُ كُلُّهَا. وَإِنَّمَا ذَكَرَ فِي كُلِّ سِيَاقٍ مَا يُنَاسِبُهُ، فَفِي الْأَعْرَافِ لَمَّا قَالُوا: لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ"[٨٧]، **نَاسَبَ أَنْ يَذْكُرَ هُنَاكَ الرَّجْفَةَ، فَرُجِفَتْ بِهِمُ الْأَرْضُ الَّتِي ظَلَمُوا بِهَا، وَأَرَادُوا إِخْرَاجَ نَبِيِّهِمْ مِنْهَا، وَهَاهُنَا لَمَّا أَسَاءُوا الْأَدَبَ فِي مَقَالَتِهِمْ عَلَى نَبِيِّهِمْ نَاسَبَ ذِكْرَ الصَّيْحَةِ الَّتِي أَسْكَتَتْهُمْ وَأَخْمَدَتْهُمْ، وَفِي الشُّعَرَاءِ لَمَّا قَالُوا:** فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾"[٨٨]، **وَهَذَا مِنَ الْأَسْرَارِ الْغَرِيبَةِ الدَّقِيقَةِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ كَثِيرًا دَائِمًا.**[٨٩]

---

(٨٠) سورة الأعراف: آية ٨٨.
(٨١) سورة الشعراء: آية ١٨٩.
(٨٢) تفسير القرآن العظيم – بن كثير – ٣٤٧/٤.
(٨٣) جامع البيان في تأويل القرآن – الطبري – ٤٦٤/١٥.
(٨٤) سورة هود: آية ٩٣.
(٨٥) جامع البيان عن تأويل أي القران ــ الطبري ــ ٥٦٠/١٢.
(٨٦) سورة العنكبوت: آية ٣٧.
(٨٧) سورة الأعراف: آية ٨٨.
(٨٨) سورة الشعراء: آية ١٨٩.
(٨٩) تفسير القران العظيم ــ ابن كثير ــ ٣٤٧/٤.

فإن الظلم إذا حدث تمادي فيه أحل اللع عقوبته باهلاكه لاولئك الظلمة ثم اليه المرجع فيلاقون من العذاب ما لا قبل لهم به، وقال تعالي مخبرا عن رد عبده هود عليه السلام علي قومه المشركين قَالَ تَعَالَىٰ: إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُمْ ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ .(٩٠)

(فكونه تعالى على صراط مستقيم: ينفي ظلمه للعباد. وتكليفه إياهم ما لا يطيقون. وينفي العيب من أفعاله وشرعه، ويثبت لها غاية الحكمة والسداد، ردا على منكري ذلك، وكون كل دابة تحت قبضته وقدرته، وهو آخذ بناصيتها. ينبغي أن لا يقع في ملكه من أحد من مخلوقاته شيء بغير مشيئته وقدرته وأن من ناصيته بيد الله وفي قبضته لا يمكنه أن يتحرك إلا بتحريكه، ولا يفعل إلا بإقداره ولا يشاء إلا بمشيئته تعالى وهذا أبلغ رد على منكري ذلك من القدرية فالطائفتان ما وفوا الآية معناها، ولا قدروها حق قدرها فهو سبحانه على صراط مستقيم في إعطائه ومنعه، وهدايته وإضلاله، وفي نفعه وضره، وعافيته وبلائه، وإغنائه وإفقاره، وإعزازه وإذلاله، وإنعامه وانتقامه، وثوابه وعقابه، وإحيائه وإماتته، وأمره ونهيه، وتحليله وتحريمه، وفي كل ما يخلق، وكل ما يأمر به، وهذه المعرفة بالله لا تكون إلا للأنبياء ولورثتهم).(٩١)

بل إن المولى (ﷻ) إذا أراد أن يهلك قرية، أهلكها بفسق أهلها، ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾.(٩٢)

(يخبر تعالى أنه إذا أراد أن يهلك قرية من القرى الظالمة ويستأصلها بالعذاب أمر مترفيها أمرا قدريا ففسقوا فيها واشتد طغيانهم، فحقت عليهم كلمة العذاب التي لا مرد لها {فدمرناها تدميرا}، وهؤلاء أمم كثيرة أبادهم الله بالعذاب من بعد قوم نوح كعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم ممن عاقبهم الله لما كثر بغيهم وفسقهم).(٩٣)

(فالمولى (ﷻ) إذا أراد أن يهلك قرية أكثر جبابرتها، ففسقوا فيها وعملوا بمعصية الله، فإذا أراد الله (ﷻ) بقوم صلاحاً، بعث عليهم مصلحاً، وإذا أراد بهم فسادا بعث عليهم مفسداً، وإذا أراد أن يهلكها أكثر مترفيها).(٩٤)

والآية تقرر سنه الله؛ فإذا قدر الله (ﷻ) لقرية أنها هالكة لأنها أخذت بأسباب الهلاك فكثر فيها المترفين، فسلط المولى هؤلاء المترفين ففسقوا فيها فعم فيها الفسق، فتحللت وترهلت فحقت عليها سنت الله وأصابها الدمار والهلاك.

وعقاب الفاسقين شديد وأليم سواء كانوا حكام أو محكومين، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾﴾.(٩٥)

---

(٩٠) سورة هود: آية ٥٦.
(٩١) التفسير القيم ــ ابن القيم ص٣٢٦
(٩٢) سورة الاسراء: آية ١٦.
(٩٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – السعدى – ص٤٥٥.
(٩٤) جامع البيان في تأويل القرآن – الطبرى – ٤٠٥/١٧.
(٩٥) سورة السجدة: آية ٢٠.

(فظهر الفساد والفسق في البر والبحر وذهبت البركات وقلت الخيرات وتكدرت الحياة من فسق الظلمة وبكى ضوء النهار وظلمة الليل من الاعمال الخبيثة والافعال الفظيعة، وشكا الكرام الكاتبون إلى ربهم من كثرة الفواحش وفسق الفاسقون).(٩٦)

ولقد وردت كلمة الملأ في القرآن الكريم بمعنى بطانة الحاكم، بصرف النظر عن كونها بطانة سيئة أو صالحة في سبعة عشر موضعاً، فالقرآن الكريم ذكر فرعون مقروناً معه بطانته في ثلاثة عشر موضعاً، وكذلك القرآن الكريم ذكر بطانة كل من ملكة سبأ، وعزيز مصر، وسليمان (عليه السلام)، فمن هذه الآيات:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾.(٩٧)

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴿٣٢﴾﴾.(٩٨)

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾﴾.(٩٩)

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾﴾.(١٠٠)

ووردت كلمة "الملأ" في القرآن الكريم بمعنى أشراف القوم الطغاة أو النخبة الطاغية في تسعة مواضع، وتناولت الآيات كلا من أشراف قوم نوح، وأشراف قوم شعيب، وأشراف قوم صالح، وأشراف قريش، وسمى الأشراف بالملأ كما يقول الإمام الشعراوي رحمه الله:

(لأنهم الذين يملأون العين، لأن العين إذا اتجهت اليهم تتعلق بهم لوجاهتهم وسلطانهم ولا تنظر إلى سواهم، وذلك لما لهم من مهابة دنيوية، فالعيون تتعلق دائما بالسلطان أو الرئيس إذا جاء إلى إى مكان وبمن حوله من المقربين).(١٠١)

والآيات التي وردت فيها كلمة الملأ بمعنى أشراف القوة الطغاة:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾﴾.(١٠٢)

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾﴾.(١٠٣)

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾.(١٠٤)

---

(٩٦) الفوائد – ابن القيم – ص٤٩.
(٩٧) سورة النمل: آية ٢٩.
(٩٨) سورة النمل: آية ٣٢.
(٩٩) سورة النمل: آية ٣٨.
(١٠٠) سورة يوسف: آية ٤٣.
(١٠١) قصص الأنبياء – الشعراوي – ١٥٠٩/٣.
(١٠٢) سورة الأعراف: آية ٧٥.
(١٠٣) سورة الأعراف: آية ٨٨.
(١٠٤) سورة الأعراف: آية ٦٦.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾﴾.(١٠٥)

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾.(١٠٦)

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾.(١٠٧)

(فالغالب على الاستخدام القرآني لكلمة الملأ هو أنها استخدمت وصفاً سلبياً للسادة والأشراف الملتفين حول الحاكم، والذين حاربوا بكل ما أوتوا من قوة دعاة الإصلاح، وعملوا على تأليب الطغاة على المصلحين، أو وصفا لأشراف القوم العتاه المسيطرين على أمور القوم، والذين وقفوا سداً مانعاً أمام دخول الدعوات، ولكن هذا لا يعنى أن القرآن لم يستخدم الكلمة وفقاً لأتباع الأنبياء أو بطانتهم قط، وأنه كان دائما وصفاً للمترفين المستبدين والمغرورين الذين عارضوا الأنبياء، وسعوا لفرض ما يحملون على الآخرين).(١٠٨)

وقد عبر القرآن الكريم عن بطانة فرعون في نحو ثلاثة عشر موضعاً، وفى أحيان أخري يعبر عن الملأ بقوله (ﷺ) "حوله" أي المحيطين بالحاكم والبطانة، والمواضع الثلاثة عشر هي:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾.(١٠٩)

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾﴾.(١١٠)

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾.(١١١)

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُواْ بِهَا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾﴾.(١١٢)

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾.(١١٣)

---

(١٠٥) سورة الأعراف: آية ٩٠.
(١٠٦) سورة هود: آية ٢٧.
(١٠٧) سورة المؤمنون: آية ٢٤.
(١٠٨) الاستكبار والاستضعاف من وجهة نظر القرآن الكريم – محمد تقى زهير – ص٢٢.
(١٠٩) سورة القصص: آية ٢٠.
(١١٠) سورة الزخرف: آية ٤٦.
(١١١) سورة القصص: آية ٣٢.
(١١٢) سورة الأعراف: آية ١٠٣.
(١١٣) سورة يونس: آية ٧٥.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾﴾.(١١٤)

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿قَالَ لِلۡمَلَإِ حَوۡلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾.(١١٥)

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿قَالَ لِمَنۡ حَوۡلَهُۥٓ أَلَا تَسۡتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾﴾.(١١٦)

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ ﴿٩٧﴾﴾.(١١٧)

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ ﴿١٠٩﴾﴾.(١١٨)

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾.(١١٩)

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٞ مِّن قَوۡمِهِۦ عَلَىٰ خَوۡفٖ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِمۡ أَن يَفۡتِنَهُمۡۚ وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾.(١٢٠)

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةٗ وَأَمۡوَٰلٗا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٨٨﴾﴾.(١٢١)

(فالتحالف الثلاثي الذى كشف عنه القرآن الكريم في قصة فرعون، إنما هو بين الحاكم المتجبر الطاغي ويمثله فرعون، وبين بطانة السوء المكونة من: هامان السياسي رئيس البطانة أو الملأ، وقارون الرأسمالي الباغي، وعامل فرعون على بنى إسرائيل، والكهنة ورجال الدين المضفين الشرعية على سلطات الطاغية، والاعلام الملهى المشوه ويمثله السحرة وكذا القائمون على إشاعة وإيصال الأوامر الفرعونية إلى المدائن وعلى جناح السرعة، وما هامان وقارون إلا أفراد في بطانة السوء).(١٢٢)

فكما هو واضح من الآيات السابقة مدى أهمية البطانة، لذا قرنها المولى (ﷻ) في ثلاثة وعشرين موضعا في كتابه العزيز مع فرعون، مما يدل على أهميتهم ودورهم المهم مع الحاكم، فدائما في أثناء الحديث عن فرعون يكون الاقتران بين اسمه وبين بطانته أو ملأه، ليتضح بذلك أن للبطانة دوراً رئيسياً في دولة الطاغية، وفى تثبيت السياسة القمعية الجائرة، وبذلك تعد البطانة بكل شرائحها أحد أقطاب التحالف الطغياني

(١١٤) سورة المؤمنون: آية ٤٦.
(١١٥) سورة الشعراء: آية ٣٤.
(١١٦) سورة الشعراء: آية ٢٥.
(١١٧) سورة هود: آية ٩٧.
(١١٨) سورة الأعراف: آية ١٠٩.
(١١٩) سورة الأعراف: آية ١٢٧.
(١٢٠) سورة يونس: آية ٨٣.
(١٢١) سورة يونس: آية ٨٨.
(١٢٢) الطغيان السياسي وسبل تغييره من المنظور القرآني – د/ عبد الرحمن اسيندارى – ص٨١.

في الدولة التي يقف على رأسها حاكم مستبد، لذا فلا يمكن بحال من الأحوال أن يتصور وجود دولة يتربع على عرشها حاكم طاغ دون وجود بطانة سيئة تعينه علي طغيانه.

فالبطانة تلعب دوراً هاماً في حياة الحكام، فمن كان له بطانة، فمن كان مستبداً أتخذ بطانة سيئة تعينه على الاستبداد والظلم للرعية، حيث يتخذ الحاكم على شاكلته، فقال رسول الله (ﷺ): (ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة، إلا كانت له بطانتان، بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، فالمعصوم من عصم الله تعالى).(١٢٣)

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبحمده وفضله تنجز المهمات، أحمده سبحانه وتعالى حمد الشاكرين، وأسأله (ﷻ) أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله من العلم الذي ينتفع به، وأن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم – وبعد:

وهذه أهم النتائج توصلت إليها الدراسة:

(١) القرآن الكريم صالح لكل زمان ومكان، وهو دواء لكل أسقام الأمة، ففي القرآن سعادة البشرية في الدنيا والآخرة.

(٢) الظلم داء إذا أصاب أمة جعلها تتخلف وتتقهقر إلى الوراء، فهو كالمرض المعدي الذي يصيب الجسد كله ويدمره.

(٣) الظلم يشمل عنصرين لا نجدهما بالضرورة في غيره وهما: القهر والجور.

(٤) ضرب القرآن الكريم نماذج عديدة للظالمين ، كما أعطانا القرآن صورة للظلم من كل الجوانب والزوايا.

(٥) تناول القرآن الكريم لقصة سيدنا موسى مع الطاغية فرعون بكثرة، فقد تناول القرآن الكريم القصة من كل جوانبها مما يدل على اهتمام القرآن الكريم بمحاربة الظلم.

(٦) قدّم القرآن الكريم العلاج للظلم فما من شيء كبير أو صغير إلا وقدم القرآن له الحل والعلاج.

(١٢٣) صحيح البخاري – باب "بطانة الامام وأهل مشورته" – رقم الحديث (٦٧٧٣) – ٢٦٣٢/٦.

فهرس المصادر والمراجع

١. الاستكبار والاستضعاف من وجهة نظر القرآن الكريم ــ محمد تقي زهير ــ منظمة الإعلام الإسلامي ومعاونية العلاقات الدولية ــ طهران ــ الطبعة الأولي ــ ١٤٠٧هـــ/١٩٨٧م

٢. البحر المحيط في التفسير ــ أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) ــ المحقق: صدقي محمد جميل ــ الناشر: دار الفكر – بيروت.

٣. تاج العروس من جواهر القاموس ــ محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) ــ المحقق: مجموعة من المحققين ــ الناشر: دار الهداية

٤. التعامل مع غير المسلمين في العهد النبوي ــ ناصر محمدي محمد جاد ــ دار الميمان ــ الطبعة الأولي ــ ١٤٣٠هـــ/٢٠٠٩م.

٥. تفسير القرآن العظيم ــ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) ــ المحقق: سامي بن محمد سلامة ــ الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ــ الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

٦. تفسير المراغي ــ أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ) ــ الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر ــ الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م

٧. تيسير التفسير ــ إبراهيم القطان (المتوفى: ١٤٠٤هـ) ــ

٨. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ــ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) ــ المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ــ الناشر: مؤسسة الرسالة ــ الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.

٩. ثمانون حديثا في الظلم والظلمة والمظلومين ــ د/جمال عبد المنعم الكوفي ــ دار الاعتصام للنشر والتوزيع

١٠. جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري) ــ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) ــ تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمام ــ الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ــ الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

١١. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري) ــ محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي ــ المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر ــ الناشر: دار طوق النجاة ــ الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ

١٢. الجامع لأحكام القرآن ــ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : ٦٧١ هـ) ــ هشام سمير البخاري ــ دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية ــ ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م.

١٣. الجواهر الحسان في تفسير القرآن (تفسير الثعالبي) ــ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: ٨٧٥هـ) ــ المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود ــ الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ــ الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.

١٤. حسن السلوك الحافظ دولة الملوك ــ محمد بن محمد بن عبد الكريم الموصلي الشافعي ــ تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد ــ الناشر دار الوطن ــ سنة النشر ١٤١٦ه ــ بالرياض
١٥. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ــ شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) ــ المحقق: علي عبد الباري عطية ــ الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ــ الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ
١٦. الطغيان السياسي وسبل تغييره من المنظور القراني ــ د/عبد الرحمن اسينداري ــ مركز البحوث والدراسات في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا ــ الطبعة الأولي ــ ٢٠٠٥م .
١٧. الفتاوى الكبرى لابن تيمية ــ تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) ــ الناشر: دار الكتب العلمية ــ الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م.
١٨. فتح القدير ــ محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) ــ الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت ــ الطبعة: الأولى – ١٤١٤هـ.
١٩. الفوائد ــ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ــ الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ــ الطبعة: الثانية، ١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣ م
٢٠. القاموس المحيط ــ مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ــ إشراف: محمد نعيم العرقسُوسي ــ الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ــ الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.
٢١. قواعد الأحكام في مصالح الأنام ــ أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ) ــ راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد ــ الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة ــ ١٤١٤ هـ – ١٩٩١ م
٢٢. الكشف والبيان عن تفسير القرآن ــ أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ) ــ تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور ــ مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي ــ الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان ــ الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م.
٢٣. لسان العرب ــ محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) ــ الناشر: دار صادر – بيروت ــ الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.
٢٤. مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي) ــ أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ) ــ حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي ــ راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو ــ الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت ــ الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.
٢٥. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) ــ المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي ــ الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت

٢٦. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ــ المؤلف : أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ــ الناشر : المكتبة العلمية – بيروت
٢٧. المعجم الوسيط ــ المؤلف / إبراهيم مصطفى ــ أحمد الزيات ــ حامد عبد القادر ــ محمد النجار ــ دار النشر : دار الدعوة ــ تحقيق / مجمع اللغة العربية.
٢٨. معجم مقاييس اللغة ــ أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ــ المحقق : عبد السلام محمد هارون ــ الناشر : دار الفكر ــ الطبعة : ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٢٩. المفردات في غريب القرآن ــ أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ) ــ المحقق: صفوان عدنان الداودي ــ الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت ــ الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ
٣٠. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ــ برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ــ دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م ــ تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي.